المبحث الثالث: صفاته الخَلْقيّة والخُلُقيّة

كان النبي أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، وأليَنهم كَفّاً، وأطيبهم ريحاً، وأكملهم عقلاً، وأحسنهم عشرة، وأعلمهم بالله وأشدهم له خشية[1]، وأشجع الناس، وأكرم الناس، وأحسنهم قضاء، وأسمحهم معاملة، وأكثرهم اجتهاداً في طاعة ربه، وأصبرهم وأقواهم تحمّلاً، وأخشعهم لله قلباً، وأرحمهم بعباد الله تعالى، وأشدهم حياء، ولا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها؛ ولكنه إذا انتُهكت حرمات الله، فإنه ينتقم لله تعالى، وإذا غضب لله لم يقم لغضبه أحد، والقوي والضعيف، والقريب والبعيد، والشريف وغيره عنده في الحق سواء، وما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه تركه، ويأكل من الطعام المباح ما تيسر ولا يتكلف في ذلك، ويقبل الهدية ويكافئ عليها، ولا يقبل الصدقة،

---

1 () ولهذا قال عبد الله بن الشَّخِّير: أتيت رسول الله وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء، أبو داود برقم 904، وصححه الألباني في مختصر الشمائل برقم 276, ومعنى: أزير المرجل: أي غليان القدر.

ويخصف نعليه ويرقع ثوبه, ويخدم في مهنة أهله, ويحلِبُ شاته, ويخدِمُ نفسه، وكان أشد الناس تواضعاً، ويجيب الداعي: من غني أو فقير، أو دنيء أو شريف، وكان يحب المساكين ويشهد جنائزهم ويعود مرضاهم، ولا يحقر فقيراً لفقره, ولا يهاب مَلِكاً لِـمُلْكِهِ, وكان يركب الفرس, والبعير, والحمار, والبغلة, ويردف خلفه, ولا يدع أحداً يمشي خلفه[1]. وخاتمه فضة وفصه منه, يلبسه في خنصره الأيمن وربما لبسه في الأيسر، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض، ولكنه اختار الآخرة.

وكان رسول الله ليس بالطويل البائن[2]، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق[3]، ولا بالآدم[4]، ولا بالجعد

---

1 () أحمد 3/398، وابن ماجه برقم 246, والحاكم 4/481، وابن حبان موارد 2099 , وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم 1557.
2 () البائن: أي ليس بالطويل الطول الظاهر.
3 () الأمهق: أي ليس بالأبيض شديد البياض، وإنما أبيض مشرب بالحمرة.
4 () الأدم: الأسمر.

القطط[1]، ولا بالسَّبط[2] [3]، وكان ضخم القدمين حسن الوجه[4]، أبيض مليح الوجه[5]، وكان رجلاً مربوعاً بعيد ما بين المنكبين، عظيم شعر الجُمَّة إلى شحمتي أذنيه، وفي وقت إلى منكبيه، وفي وقوتٍ إلى نصف أذنيه، كث اللحية، شثن الكفين والقدمين[6]، ضخم الرأس، ضخم الكراديس[7]، طويل الـمَسْربة[8]، إذ مشى تكفّأ تكفؤاً كأنما ينحط من صبب[9]، لم يُرَ قبله ولا بعده مثله، وكان عظيم الفم، طويل شِق العين، قليل لحم العقب، منظره أحسن من منظر القمر، وجهه مثل القمر، وخاتم النبوة بين كتفيه: غدّة حمراء مثل بيضة الحمامة، وقيل: الخاتم شعرات مجتمعات بين كتفيه، وكان يفرق رأسه، ويدَّهن، ويعفي لحيته ولا يأخذ منها شيئاً،

---

1 () القطط: الشعر فيه التواء وانقباض.
2 () السبط: الشعر المسترسل.
3 () مختصر شمائل، الترمذي برقم 1، وصححه الألباني. وهو في البخاري برقم 3549.
4 () البخاري، برقم 5908.
5 () مسلم، برقم 2340.
6 () عظيم الأصابع غليظها من الكفين والقدمين.
7 () الكراديس: رؤوس العظام.
8 () المَسرَبة: الشعر الدقيق الذي يبدأ من الصدر وينتهي بالسرة.
9 () الصبب: انخفاض من الأرض.

ويُسرّحها، ويأمر بتوفيرها وإيفائها، وإعفائها، وكان يأمر بالاكتحال بالإثمد عند النوم، ويقول: «**عليكم بالإثمد عند النوم؛ فإنه يجلو البصر ويُنبت الشعر**»[1]. وقال: «**إن خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر، ويُنبت الشعر**»[2]، وكان قليل الشَّيب في رأسه وفي لحيته إذا ادَّهن لم يُرَ شيبه، وإذا لم يدَّهن رُؤي منه شيء، كان شيبه نحواً من عشرين شيبة بيضاء، وكان يقول: «**شيَّبتني هود وأخواتها**»، وفي لفظ: «**شيّبتني: هود، والواقعة، والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كُوِّرت**»[3]، وشَيْبُهُ أحمر مخضوباً، وكان يُحبّ لبس القميص، والحَبِرَة[4]، وكان يلبس العمامة، والإزار، وإزاره إلى نصف ساقه[5]، وكان يحب الطيب،

---

1 () الترمذي في الشمائل، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، برقم 43، ص 45 .
2 () الترمذي في الشمائل، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، برقم 44، ص 45 .
3 () مختصر الشمائل للترمذي، اختصره وصححه الألباني، برقم 34، 35.
4 () ثياب من نوع بُرُود اليمن، والبُرد: ثوب مخطط، ومحبّرة مزينة.
5 () مختصر شمائل الترمذي، برقم 97، وصححه الألباني.

ويقول: «**طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه**»[1].

وكان ﷺ يتجمَّلُ للعيد، والوفود، ويُحِبّ النظافة، وكان يكره أن يقوم له أحد؛ فلا يقوم له الصحابة؛ لعلمهم بكراهته لذلك[2]، وكان يُحِبّ السّواك، ويبدأ به إذا دخل بيته، ويشوص فاه بالسواك إذا قام من الليل، وكان ينام أول الليل ثم يقوم يصلي، وكان يطيل صلاة الليل حتى تنتفخ قدماه، ثم يُوتِرُ آخر الليل قبل الفجر، وكان يُحِبّ أن يسمع القرآن من غيره، وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز ويصلي عليهم، وكان كثير الحياء، وكان إذا كره شيئاً عُرف في وجهه، وكان يُحِبّ الستر، وكان يتوكل على الله حقَّ توكُّلِهِ؛ لأنه سيد المتوكلين، قال أنس ﷺ: خَدَمْتُ النبي ﷺ عشر سنين فما يعثني في حاجةٍ لم أتـمَّها إلا قال: «**لو قُضِيَ لكان**» أو «**لو قُدِّر لكان**»[3]، ومع هذا فقد كان يأخذ بالأسباب. وكان

---

1 () مختصر شمائل الترمذي برقم 188، وصححه الألباني.
2 () أحمد، 3/134 .
3 () أحمد، 1/352 وهو صحيح.

لا يغدر وينهى عن الغدر، وقد حفظه الله تعالى من أمور الجاهلية قبل الإسلام[1]، ورعى الغنم في صغره وما من نبيٍّ إلاّ رعاها[2]، وكان الحجر يسلم عليه قبل البعثة[3].

وله أسماء، قال : «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يُمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عَقِبي**[4]**، وأنا العاقب**»، والعاقب الذي لَيس بعده نبي[5].

وقال : «**أنا محمد، وأحمد، والمُقفَّي**[6]**، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**»[7]، وكنيته أبو القاسم[8]، بعثه الله ليتَمِّمَ مكارم الأخلاق[9].

---

1 () البخاري، برقم 3829، وأحمد 4/222 .
2 () البخاري، برقم 2262، ورقم 3406 .
3 () مسلم، برقم 2277 .
4 () أي يحشر الناس على أثره، النهاية.
5 () البخاري، برقم 3532، ومسلم برقم 2354 .
6 () المقفي: الذي قفى آثار من سبقه من الأنبياء ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا...﴾. [انظر: زاد المعاد، لابن القيم، 1/94].
7 () مسلم، برقم 2355، وشمائل الترمذي برقم 316 ((مختصر الألباني)).
8 () البخاري، برقم 3537، ومسلم، 3/1682 .
9 () أحمد، 2/381، برقم 8939 .

وذكر الله تعالى اسمه في القرآن فـي مواضـع فقـال تعـالى: ﴿ ﴾[1]، وقـال سـبحانه: ﴿ ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿ ﴾[3]، وقال سبحانه : ﴿ ﴾[4]، وقال جل وعلا في قول عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم: ﴿ ﴾[5].

وكان يكثر الذكر، دائم الفكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ويحب الطيب ولا يرده، ويكره الروائح الكريهة، وكان أكثر الناس تبسماً، وضحك في أوقاتٍ حتى بدت نواجذه[6]،

---

1 () سورة آل عمران، الآية: 144.
2 () سورة الأحزاب، الآية: 40 .
3 () سورة محمد، الآية: 2 .
4 () سورة الفتح، الآية: 29 .
5 () سورة الصف، الآية: 6 .
6 () النواجذ: الأنياب، وقيل: [هي الضواحك التي تبدو عند الضحك] النهاية، 5/20 .

قال جرير : ما حجبني رسول الله منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسَّمَ في وجهي، ولقد شكوت إليه أنِّي لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري، وقال: **«اللهم ثبّته، واجعله هادياً مهديّاً»**[1] ويمزح ولا يقول إلا حقّاً، ولا يجفو أحداً، ويقبل عذر المعتذر إليه، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، ويتنفس في الشرب ثلاثاً خارج الإناء، ويتكلم بجوامع الكلم، وإذا تكلم تكلّم بكلامٍ بيّنٍ فصْلٍ، يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلمة ثلاثاً إذا لم تفهم حتى تُفهم عنه، ولا يتكلم من غير حاجة، وقد جمع الله له مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، فكانت معاتبته تعريضاً، وكان يأمر بالرفق ويحثّ عليه، وينهي عن العنف، ويحث على العفو والصفح، والحلم، والأناة، وحسن الخلق ومكارم الأخلاق، وكان يحب التيمن في طهوره وتنعّله، وترجّله، وفي شأنه كله، ونهى عن الترجل إلا غباً، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى، وإذا اضطجع اضطجع على جنبه الأيمن، ووضع كفه اليمنى تحته خده الأيمن، ويقول: أذكار

---

[1] () البخاري، برقم 3035، ورقم 3822، ورقم 6090 .

النوم، وإذا عرَّس[1] قُبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه، وكان مجلسه: مجلس علم، وحلم، وحياء، وأمانة , وصيانة, وصبر, وسكينة, ولا ترفع فيه الأصوات، ولا تنتهك فيه الحرمات، يتفاضلون فِي مجلسه بالتقوى، ويتواضعون، ويُوقِّرون الكبار، ويرحَمُون الصغار، ويؤثرون المحتاج، ويخرجون دعاة إلى الخير، وكان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، وكان يمشي مع الأرملة والمسكين، والعبد، حتى يقضي له حاجته. ومر على الصبيان يلعبون فسلّم عليهم، وكان لا يصافح النساء غير المحارم، وكان يتألف أصحابه ويتفقدهم، ويكرم كريم كل قوم، ويُقبل بوجهه وحديثه على من يُحدثه، حتى على أشرِّ القوم يتالفهم بذلك، وخدمه أنس عشر سنين قال: (فما قال لي أفٍّ قط، وما قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعته، ولا لشيء تركته لِمَا تركته، وكان من أحسن الناس خُلقاً ولامسست خزّاً، ولا حريراً، ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ،

---

[1] () التعريس: نزول المسافر آخر الليل نزلةً للنوم والاستراحة. انظر: النهاية في غريب الحديث 3/206.

ولا شممت مسكاً قطّ ولا عطراً أطيب من عرق النبي)[1]. ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخَّاباً[2]، ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ويحلم, ولم يضرب خادماً ولا امرأة ولا شيئاً قط, إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى, وما خُيِّر بين شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً, فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه.

وقد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الشيم وآتاه من العلم والفضل وما فيه النجاة والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة ما لم يؤت أحداً من العالمين, وهو أُمّي لا يقرأ ولا يكتب, ولا معلم له من البشر، واختاره الله على جميع الأولين والآخرين، وجعل دينه للجن والناس أجمعين إلى يوم الدين، فصلوات الله وسلامه عليه صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين؛ فإن

---

1 () البخاري، برقم 6038، ومسلم، برقم 2309، والترمذي في مختصر الشمائل، واللفظ له، برقم 296 .

2 () الصّخَّاب: الصخب والسخب: الضجة واضطراب الأصوات للخصام، فهو لم يكن صخّاباً في الأسواق ولا في غيرها. النهاية 3/14.

خلقه كان القرآن[1].

فينبغي الاقتداء به والتأسي به في جميع أعماله، وأقواله، وجده واجتهاده، وجهاده، وزهده، وورعه، وصدقه وإخلاصه، إلا في ما كان خاصّاً به، أو ما لا يُقدر على فعله؛ لقوله : «**خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملّ حتى تملّوا**[2]»[3]؛ ولقوله: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**»[4].

---

1 () تهذيب الأسماء واللغات للنووي، 1/25-26، و 31-33، ومختصر الشمائل المحمدية للترمذي، اختصره وحققه الألباني، ص 13-194 .

2 () البخاري مع الفتح، 4/213، برقم 1970، ومسلم 1/541، برقم 782 .

3 () انظر: تهذيب السيرة النبوية للإمام النووي ص 56، ومختصر السيرة النبوية للحافظ عبد الغني المقدسي ص 77، وحقوق المصطفى للقاضي عياض 1/77 – 215، ومختصر الشمائل المحمدية للترمذي ص 112-188.

4 () البخاري برقم 7288، ومسلم برقم 2619.